القصر و التوكيد

القصر

القصر لغة:

القصر هو الحبس و الدليل قول الله : (حُورࣱ مَّقۡصُورَ ٰ⁠تࣱ فِی ٱلۡخِیَامِ)[سورة الرحمن 72].

والحور: جمع حوراء ، و هي البنت التي يكون بياض عينها شديد البياض، وسواده شديد السواد.

وحور عين، والعين : جمع عيناء، والعيناء هى واسعة العين.

(حور مصورات في الخيام)، أي : هؤلاء البنات اللاتي في الجنة قصرن أنفسهم و خصصنها و حبسنها لأزواجهم فلم يطمحن إلى غيرهم.

القصر اصطلاحًا:

هو تخصيص أمر بأمر آخر من خلال وسيلةٍ من وسائل القصر.

مثل ( لا يدخل هذا المكان إلا المصريون) حيث قصر دخول هذا المكان على المصريين فحسب. فدخول هذا المكان مخصص و مقصور على المصريين وليس غيرهم.

أسلوب القصر يتكون من:

١-المقصور.

٢-المقصور عليه.

٣-أداة القصر.

مثل إنما طارق طبيب.

أداة القصر : إنما.

المقصور : طارق.

المقصور عليه : طبيب.

اسلوب القصر

وهذا الأسلوب هو أسلوب عربي معروف، وهو من أقوى الأساليب التي يؤتى بها لتمكين الكلام وتقرير في الذهن؛ لدفع ما فيه من إنكار أو شك،

يقول البلاغيون : للحصر والقصر أساليب و ألفاظ، ومن هذه الألفاظ منها:

١-النفى و الاستثناء:

من أساليب القصر و الحصر أن يوتر بنفى ثم يتبع باستثناء، مثل قوله تعالى : (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِیَعۡبُدُونِ)[سورة الذاريات 56]؛ لأن قوله (ما) مافية، ومن ثم جاء إتباعها ب(إلا) الدالة على التحقق من قصر العلة على ما قصرت عليه، وهى : أن الله لم يخلق الخلق إلا لعلةٍ واحدة وهى عبادته سبحانه و تعالى.

ويقع المقصور عليه بعد أداة الاستثناء، مثل ) :ما خالد إلا نجار)، ف(خالد) موصوف، و(نجار) صفة، وقصر الموصوف على الصفة، أي قصر (خالد) على النجارة.

وقول الله تعالى : (وَمَا یَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰۤ ۝ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡیࣱ یُوحَىٰ)[سورة النجم 3 – 4]

فكلمة (ينطق) تشمل كل ما يخرج من الشفتين من قول أو لفظ، أي ما يخرج نطقه ( صلى الله عليه وسلم) عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل.

ولقد جاءت الآيتان بأسلوب القصر مع النفي و الاستثناء، وهذا واضح في إثبات أن كلامه (صلّى الله عليه وسلم) محصور فى كونه وحيًا لا يتكلم إلا به، وليس بغيره.

وقول : ( لا إله إلا الله).

١-نفي في قوله: (لا إله).

٢-إثبات في قوله: ( إلا الله).

ف: (لا إله) نفت الألوهية عن كل ما سوى الله سبحانه وتعالى، و (إلا الله) أثبتت الألوهية لله وحده لا شريك له، وجملة القصر في قوة الجملتين، إحداهما مثبتة، والأخرى منفية، وطريق القصر في كلمة التوحيد : النفي و الاستثناء، أي لا معبود حق إلا الله، فلا يعبد إلا الله، ولا يجوز أن يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله.

وقوله تعالى : (وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِیَعۡبُدُونِ)[سورة الذاريات 56] دلالة على حصر مقصد الخلق في علةٍ واحدةٍ؛ لأن أسلوب النفي المتبع بالاستثناء هو أعلى أدوات و أساليب القصر و الحصر عند البلاغيين.

وقوله تعالى : (۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوۤا۟ إِلَّاۤ إِیَّاهُ )[سورة الإسراء 23] فهذا أسلوب قصر،يفيد قصر العبادة وإثباتها لله وحده، بحيث لا يشاركه فيها أحد.

فلو قالت الآية : ( وقضى ربك أن تعبدوه)، فالقائل أن يقول : ونعبد غيره؛ لأن باب العطف هنا مفتوح لم يغلق.

كما لو قلت : ضربت فلانًا و فلانًا و فلانًا،هكذا باستخدام العطف، إنما لو قلت، ما ضربت إلا فلانًا، فقد أغلقت باب العطف.

إذن: جاء التعبير بأسلوب القصر ليقول : اقصروا العبادة عليه سبحانه، وانفوها عن غيره.

٢-إنما :

ومن أساليب الحصر و القصر (إنما)، فعندما تسمع كلمة: (إنما) فاعلم أنها أداة قصر، مثل قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " إنما الأعمال بالنيات" حصرت الأعمال في النيات، وقصرت الأعمال على النوايا.

ويأتي المصور بعد إنما. أما المصور عليه فيأتي مؤخرًا، مثل ( إنما خالد نجار)، وهذا يعني أننا قصرنا خالدًا على النجارة، ولكن إذا قلنا : ( إنما النجار خالد)، فنحن في هذه الحالة قصرنا النجارة على خالد.

وعندما تقصر إنسانًا على وصفٍ فذلك يسمونه :

( قصر موصوف على صفة)، وعندما نقول : ( إنما خالد طبيب). فهذا يعني أن خالدًا طبيب فقط، وهو ليس مهندسًا ولا كاتبًا ولا ضابطًا.

أما إن قلت : ( إنما الطبيب خالد)، فهذا يعني أنه لا يوجد طبيب إلا خالد؛ فكأنك تنفي عن الآخرين أنهم أطباء، وأن خالدًا فقط هو الطبيب، و يحتمل أن يكون عالمًا أو كاتبًا.

إن الله سبحانه يحصر الولاية في قوله : (إِنَّمَا وَلِیُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِینَ ءَامَنُوا۟)[سورة المائدة 55] ولم يقل ( أولياؤكم) بالجمع، تنبيهًا أن الولاية لله على الأصالة، ولرسوله وللمؤمنين على التبع. ومعنى (إنما وجوب اختصاصهم بالمولاة، وأصل الكلام إنما وليكم الله ورسوله و المؤمنون، وليس اليهود ولا النصارى، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباته له، إثباتها لرسوله و للمؤمنين على سبيل التبع.

ومثل : ( إنما الكريم زيد) كأن القائل قد استقرأ آراء الناس، ولم يجد كريمًا إلا زيدًا، وكأنه يقول : ( زيد كريم وغير زيد ليس بكريم) واختصر الجملتين بجملة واحدة بقوله ( إنما الكريم زيد) و أثبت بهذا القول الكرم لزيد ونفاه عن غيره.

أما إن قال : ( زيد كريم) فهذا القول لا يمنع أن يكون غيره من الكرماء.

ومثل قول الله تعالى : ( ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلۡفُقَرَاۤءِ وَٱلۡمَسَـٰكِینِ وَٱلۡعَـٰمِلِینَ عَلَیۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِی ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَـٰرِمِینَ وَفِی سَبِیلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِیلِۖ فَرِیضَةࣰ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِیمٌ حَكِیمࣱ)[سورة التوبة 60]

وإذا قلت : ( إنما الرجل زيد)، أي: أنك قصرت الرجولة على زيد. وإن قلت : إنما الكريم حاتم، تكون قد قصرت الكرم على حاتم.

وقول الله سبحانه وتعالى : ( إنما الصدقات) معناها : أن الصدقات محصورة في هؤلاء ولا تتعداهم.

٣-التقديم و التأخير :

تقديم ما حقه التأخير في علم المعاني يفيد الحصر والقصر، أو يفيد الاختصاص، ويكون المصور عليه هو المقدم، مثل قول الله تعالى: ( لله ٱلۡأَمۡرُ)[سورة الرعد 31]، والمعنى أن الأمر لله فحسب وليس لغيره، أما لو قلت ( الأمر لله) فلا يوجد تقديم، ومن ثم فيحتمل العطف،فيمكن أن يقال : الأمر لله و لغيره. أما إذا قلت : (لله الأمر) أغلق باب العطف، فكأنك قلت لله الأمر فقط.

ومثل قول الله سبحانه وتعالى : ( وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوۤا۟ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِینَ)[سورة المائدة 23]، يفيد الاختصاص، ويفيد القصر و الحصر، فمعنى هذه الآية: أحصروا توكلكم في الله، و اقصروا توكلكم على الله، وخصوا الله بتوكلكم إن كنتم مؤمنين.

والمعنى : توكلوا على الله فحسب وليس على غيره، أما لو قلت : ( توكلوا على الله) فلا يوجد تقديم، ومن ثم فيحتمل العطف، فيحتمل أن يقال توكلوا على الله وعلى غيره. لكن إذا قلت: (وعلى الله توكلوا) أغلق باب العطف، فكأنك قلت توكلوا على الله فقط دون غيره.

ومثل قوله سبحانه : (إِیَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِیَّاكَ نَسۡتَعِینُ)

[سورة الفاتحة 5]، ووجه دلالتها على المقصود ما ذكره اللغويون، من أن تقديم المعمول على عامله يدل على القصر و الحصر، والمعنى نستعين بالله - سبحانه وتعالى – قدم المعمول على عامله ليدل على القصر و الحصر، أي لا نستعين إلا بالله.

ومثل : ( لزيدٍ مال ليس لغيره). وإذا قدمنا الجار و المجرور و هو المتعلق فنقول : ( لفلانٍ كذا)، وهذا يعني أن غير فلانٍ ليس له كذا.

وإن قلنا : ( خالد له كذا) فيصح أن نقول : (ولطارق كذا، ولزهير كذا، ولعمر كذا).

أما إذا قلت : (لعثمان كذا) فمعناها : امتناع أن يكون لغير عثمان شئ من مثل ما قلت.

ومثل قول الله) :وَأَنفُسَهُمۡ كَانُوا۟ یَظۡلِمُونَ)[سورة الأعراف 177]، أنفسهم : مفعول به تقدم على عامله الفعل ( يظلمون)، و حين تجد معمولًا تقدم على عامله فاعلم أن هذا أسلوب قصر، وقد نقول : ( يظلمون أنفسهم)، ويصح أن تعطف قائلًا: و يظلمون الناس. ولكن حين نقول : أنفسهم يظلمون، فمعنى ذلك أنه لا يتعدى ظلمهم أنفسهم، ويكون الكلام فيه قصر و تخصيص.

وقوله تعالى :( وَلِلَّهِ غَیۡبُ ٱلسَّمَـٰوَ ٰ⁠تِ وَٱلۡأَرۡضِ)[سورة هود 123]، فهذا أسلوب قصر بتقديم الجار و المجرور، أي قصر غيب السماوات و الأرض عليه سبحانه، فلو قلنا مثلًا: (غيب السماوات و الأرض لله)، فيحتما أن يقول قائل : غيب السماوات و الأرض لله و لغير الله، أما : ( وَلِلَّهِ غَیۡبُ ٱلسَّمَـٰوَ ٰ⁠تِ وَٱلۡأَرۡضِ)[سورة هود 123] أي : له وحده لا شريك له.

القصر نوعان :

١ – قصر موصوف على صفة، مثل : ( إنما الشاعر طارق)، فنحن في هذه الحالة قصرنا الشعرية على ( طارق).

ومثل : ( ما طارق إلا شاعر)، فقد قصر طارق، وهو الموصوف على الشعرية، وهي الصفة.

٢ – قصر صفة على موصوف، مثل : قولك : ( إنما طلحة ضابط)، فهذا يعني أن (طلحة( ضابط فقط، وليس طبيبًا أو مهندسًا أو شاعرًا.

أما إن قلت إن قلت : ( إنما الضابط طلحة)، فهذا يعني أنه لا يوجد ضابط إلا طلحة؛ فكأنك نغيت عن الآخرين أنهم ضباط، وأن طلحة فقط هو الضابط، ويحتمل أن يكون طبيبًا و خطيبًا وعالمًا مع كونه ضابطًا.

وحينما نقول : (لا إله إلا الله) فقد قصرت وصف الإلهية الحقيقية على موصوف، واحد، وهو الله وحده، وهذا من قصر الصفة على الموصوف.

وحينما نقول : ( ما لإبليس من عمل في الناس إلا الوسوسة و الإغواء)، فإنك قصرت عمل إبليس في الناس على صفتي الوسوسة و الإغواء.

عمل إبليس في الناس موصوف، و الوسوسة و الإغواء كل منهما صفة، وهذا من قصر الموصوف على الصفة.

القيمة البلاغة للقصر :

يقوي المعنى، ويزيد تأثيره في النفس.